وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُول: «**إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، .....**

٢ ـ الثناء على الله باللسان.

٣ ـ العمل بالجوارح بما يرضي المنعم.

فمن كان عنده شعور في داخل نفسه أنه هو السبب لمهارته وجودته وحذقه؛ فهٰذا لم يشكر النعمة، وكذٰلك لو أضاف النعمة بلسانه إلى غير الله أو عمل بمعصية الله في جوارحه، فليس بشاكر لله تعالى.

* * *

قوله: «وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: أن ثلاثة من بني إسرائيل»: جميع القصص الواردة في القرآن وصحيح السنة ليس المقصود منها مجرد الخبر، بل يقصد منها العبرة والعظة مع ما تكسب النفس من الراحة والسرور، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

قوله: «من بني إسرائيل»: في محل نصب نعت لـ«**ثلاثة**»، وبنو إسرائيل هم ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والتسليم.

قوله: «أبرص»: أي: في جلده برص، والبرص داء معروف، وهو من الأمراض المستعصية التي لا يمكن علاجها بالكلية، وربما توصلوا أخيرًا إلى عدم انتشارها وتوسعها في الجلد، لٰكن رفعها لا يمكن، ولٰهذا جعلها الله آية لعيسى، قال تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

قوله: «أقرع»: مَنْ ليس على رأسه شعر.

قوله: «أعمى»: من فقد البصر.

فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا: فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ». .....

قوله: «**فأراد الله**» وفي بعض النسخ: «**أراد الله**»: فعلى إثبات الفاء يكون خبر (إن) محذوفًا دل عليه السياق تقديره: إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أنعم الله عليهم فأراد الله أن يبتليهم. ولا يمكن أن يكون «**أبرص وأقرع وأعمى**» خبرًا؛ لأنه بدل، وعلى حذف الفاء يكون الخبر جملة: «**أراد الله**»، والإرادة هنا كونية.

قوله: «**يبتليهم**»: أي يختبرهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [النساء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

قوله: «**ملكًا**»: واحد الملائكة: وهم عَالَم غيبي خلقهم الله من نور وجعلهم قائمين بطاعة الله، لا يأكلون، ولا يشربون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لهم أشكال وأعمال ووظائف مذكورة في الكتاب والسنة، ويجب الإيمان بهم، وهو أحد أركان الإيمان الستة.

قال أهل اللغة: وأصل الـ(ملك) مأخوذ من الأَلُوكَة، وهي الرسالة، وعلى هٰذا يكون أصله مَأْلَكَ؛ فصار فيه إعلال قلبي، فصار مَلَأَك، ثم نقلت حركة الهمزة إلى اللام الساكنة وحذفت الهمزة تخفيفًا، فصار مَلَك، ولهٰذا في الجمع تأتي الهمزة: ملائكة.

قوله: «**ويذهب**»: يجوز فيه الرفع والنصب، والرفع أولى.

قوله: «**قذرني**»: أي: استقذرني وكرهوا مخالطتي من أجله.

وقوله: «**به**»: الباء للسببية؛ أي: بسببه.

قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَوِ البَقَرُ (شَكَّ إِسْحَاقُ). فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا».

قَالَ: «فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ. .....

قوله: «**فمسحه**»: ليتبين أن لكل شيء سببًا، وبرئ بإذن الله ـ عز وجل ـ، «**فذهب عنه قذره**»: بدأ بذهاب القَذَر قبل اللون الحسن والجلد الحسن؛ لأنه يبدأ بزوال المكروه قبل حصول المطلوب، كما يقال: التخلية قبل التحلية.

قوله: «**قال: الإبل أو البقر ـ شك إسحاق ـ**»: والظاهر: أنه الإبل كما يفيده السياق، وإسحاق أحد رواة الحديث.

قوله: «**عشراء**»: قيل: هي الحامل مطلقًا، وقال في «القاموس»: هي التي بلغ حملها عشرة أشهر أو ثمانية، سخرها الله ـ عز وجل ـ وذللها ولعلها كانت قريبة من الملك فأعطاه إياها.

قوله: «**بارك الله لك فيها**»: يحتمل أن لفظه لفظ الخبر ومعناه الدعاء، وهو الأقرب؛ لأنه أسلم من التقدير، ويحتمل أنه خبر محض، كأنه قال: هٰذه ناقة عشراء مبارك لك فيها ويكون المعنى على تقدير (قد)؛ قد بارك الله لك فيها.

قوله: «**فأتى الأقرع**»: وهو الرجل الثاني في الحديث.

قوله: «**فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن**»: ولم يكتف بمجرد الشعر، بل طلب شعرًا حسنًا.

قوله: «**الذي قذرني الناس به**»: أي: القرع؛ لأنه إذا كان أقرع كرهه

فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا. فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ أَوِ الإِبِلُ. فأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا؛ قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هٰذَانِ وَوَلَّدَ هٰذا، .....

الناس واستقذره، وهٰذا يدل على أنهم لا يُغَطُّون رؤوسهم بالعمائم ونحوها، وقد يقال: يمكن أن يكون عليه عمامة يبدو بعض الرأس من جوانبها فيكرهه الناس مما بدا منها.

قوله: «**فذهب عنه قذره**»: يقال في تقديم ذهاب القذر ما سبق، وهٰذه نعمة من الله عز وجل أن يستجاب للإنسان.

قوله: «**البقر أو الإبل**»: الشك من إسحاق، وسياق الحديث يدل على أنه أعطي البقر.

قوله: «**فأتى الأعمى**»: هٰذا هو الرجل الثالث في هٰذه القصة.

قوله: «**فأبصر به الناس**»: لم يطلب بصرًا حسنًا كما طلبه صاحباه، وإنما طلب بصرًا يبصر به الناس فقط مما يدل على قناعته بالكفاية.

قوله: «**فرد الله إليه بصره**»: الظاهر أن بصره الذي كان معه من قبل هو ما يبصر به الناس فقط.

قوله: «**قال: الغنم**»: هٰذا يدل على زهده كما يدل على أنه صاحب سكينة وتواضع؛ لأن السكينة في أصحاب الغنم.

قوله: «**شاة والدًا**»: قيل: إن المعنى قريبة الولادة، ويؤيده أن صاحبيه أعطيا أنثى حاملًا، ولما يأتي من قوله: «**فأنتج هٰذان وولد هٰذا**»،

فَكَانَ لِهٰذا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهٰذا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهٰذا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ».

قَالَ: «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابْنُ سَبِيلٍ .....

والشيء قد يسمى بالاسم القريب؛ فقد يعبر عن الشيء حاصلاً وهو لم يحصل، لٰكنه قريب الحصول.

قوله: «فأُنتج هٰذان»: بالضم، وفيه رواية بالفتح: **«فأنتج»**، وفي رواية: **«فَنَتَجَ هٰذان»**. والأصل في اللغة في مادة (نتج): أنها مبنية للمفعول والإشارة إلى صاحب الإبل والبقر، و**«أنتج»**؛ أي: حصل لهما نتاج الإبل والبقر.

قوله: «وولد هٰذا»: أي: صار لشاته أولاد، قالوا: والمنتج من أنتج، والناتج من نتج، والمولد من ولد، ومن تولى توليد النساء يقال له: القابلة، ومن تولى توليد غير النساء يقال له: منتج أو ناتج أو مولد.

قوله: «فكان لهٰذا واد من الإبل»: مقتضى السياق أن يقول: فكان لذٰلك؛ لأنه أبعد المذكورين، لٰكنه استعمل الإشارة للقريب في مكان البعيد، وهٰذا جائز، وكذا العكس.

قوله: «في صورته وهيئته»: الصورة في الجسم، والهيئة في الشكل واللباس، وهٰذا هو الفرق بينهما.

قوله: «رجل مسكين»: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أنا رجل مسكين، والمسكين: الفقير، وسُمِّي الفقير مسكينًا؛ لأن الفقر أسكنه وأذَلَّه، والغني في الغالب يكون عنده قوة وحركة.

قوله: «وابن سبيل»: أي: مسافر سُمِّي بذٰلك لملازمته للطريق،

قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. .....

ولهٰذا سُمِّي طير الماء ابن الماء لملازمته له غالبًا، فكل شيء يلازم شيئًا؛ فإنه يصح أن يضاف إليه بلفظ البُنُوَّة.

قوله: «انقطعت بي الحبال في سفري»: الحبال الأسباب؛ فالحبل يطلق على السبب وبالعكس، قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ [الحج: ١٥]، ولأن الحبل سبب يتوصل به الإنسان إلى مقصوده كالرِّشاء يتوصل به الإنسان إلى الماء الذي في البئر.

قوله: «فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك»: **«لا»**: نافية للجنس، والبلاغ بمعنى الوصول، ومنه تبليغ الرسالة؛ أي: إيصالها إلى المرسل إليه، والمعنى: لا شيء يوصلني إلى أهلي إلا بالله ثم بك؛ فالمسألة فيها ضرورة.

قوله: «أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن»: السؤال هنا ليس سؤال استخبار بل سؤال استجداء؛ لأن «سأل» تأتي بمعنى استجدى وبمعنى استخبر، تقول: سألته عن فلان؛ أي: استخبرته، وسألته مالاً؛ أي: استجديته واستعطيته، وإنما قال: **«أسألك بالذي أعطاك»**، ولم يقل: أسألك بالله؛ لأجل أن يذكره بنعمة الله عليه؛ ففيه إغراء له على الإعانة لهٰذا المسكين؛ لأنه جمع بين أمرين: كونه مسكينًا، وكونه ابن سبيل؛ ففيه سببان يقتضيان الإعطاء.

وقوله: «بعيرًا»: يدل على أن الأبرص أعطي الإبل، وتعبير إسحاق **«الإبل أو البقر»** من باب ورعه.

قوله: «أتبلغ به في سفري»: أي: ليس أطيب الإبل وإنما يوصلني إلى أهلي فقط.

فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرةٌ. فَقَالَ لَهُ: كأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هٰذا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللّهُ إِلى مَا كُنْتَ».

قوله: «الحقوق كثيرة»: أي: هٰذا المال الذي عندي متعلق به حقوق كثيرة، ليس حقك أنت فقط، وتناسى ـ والعياذ بالله ـ أن الله هو الذي منَّ عليه بالجلد الحسن واللون الحسن والمال.

قوله: «كأني أعرفك»: كأن هنا للتحقيق لا للتشبيه؛ لأنها إذا دخلت على جامد فهي للتشبيه، وإذا دخلت على مشتق؛ فهي للتحقيق أو للظن والحسبان، والمعنى: أني أعرفك معرفة تامة.

قوله: «ألم تكن أبرص يقذرك الناس»: ذَكَّرَه الملك بنعمة الله عليه، وعَرَّفه بما فيه من العيب السابق حتى يعرف قدر النعمة، والاستفهام للتقرير لدخوله على «لم»؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

قوله: «كابرًا عن كابر»: أنكر أن المال من الله، لٰكنه لم يستطع أن ينكر البرص. و«**كابرًا**» منصوبة على نزع الخافض؛ أي: من كابر؛ أي: ممن يكبرني وهو الأب، عن كابر له وهو الجد، وقيل: المراد الكبر المعنوي؛ أي: إننا شرفاء وسادة وفي نعمة من الأصل، وليس هٰذا المال مما تجدد، واللفظ يحتمل المعنيين جميعًا.

قوله: «إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت»: «**إن**»: شرطية ولها مقابل، يعني: وإن كنت صادقًا فأبقى الله عليك النعمة. فإن قيل: كيف يأتي بـ«إن» الشرطية الدالة على الاحتمال مع أنه يعرف أنه كاذب؟

قَالَ: «وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لهٰذا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هٰذا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلى مَا كُنْتَ».

أجيب: إن هٰذا من باب التنزل مع الخصم، والمعنى: إن كنت كما ذكرت عن نفسك؛ فأبقى الله عليك هٰذه النعمة، وإن كنت كاذبًا وأنك لم ترثه كابرًا عن كابر؛ فَصَيَّرك الله إلى ما كنت من البرص والفقر، ولم يقل: «إلى ما أقول»؛ لأنه كان على ذٰلك بلا شك. والتَّنزل مع الخصم يرد كثيرًا في الأمور المُتَيقَّنة؛ كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، ومعلوم أنه لا نسبة، وأن الله خير مما يشركون، ولٰكن هٰذا من باب محاجة الخصم لإدحاض حجته.

قوله: «وأتى الأقرع في صورته»: الفاعل المَلكَ، وهنا قال: **«في صورته»** فقط وفي الأول قال: **«في صورته وهيئته»**؛ فالظاهر أنه تصرُّف من الرواة، وإلا؛ فالغالب أن الصورة قريبة من الهيئة، وإن كانت الصورة تكون خلقة، والهيئة تكون تَصَنُّعًا في اللباس ونحوه، وقد جاء في رواية البخاري: **«في صورته وهيئته»**.

قوله: «فقال له مثل ما قال لهٰذا»: المشار إليه الأبرص.

قوله: «فرد عليه»: أي: الأقرع.

قوله: «مثل ما رد عليه هٰذا»: أي: الأبرص. فكلا الرجلين ـ والعياذ بالله ـ غير شاكر لنعمة الله ولا معترف بها ولا راحم لهٰذا المسكين الذي انقطع به السفر.

قوله: «فصيرك الله إلى ما كنت عليه»: أي: ردك الله إلى ما كنت عليه من القرع الذي يقذرك الناس به والفقر.

قَالَ: «وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. قَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ بَصَرِي؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ؛ لاَ أَجْهَدُكَ اليومَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُم؛ .....

قوله: «**فرد الله عليّ بصري**»: اعترف بنعمة الله، وهٰذا أحد أركان الشكر، والركن الثاني: العمل بالجوارح في طاعة المنعم، والركن الثالث: الاعتراف بالنعمة في القلب، قال الشاعر:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضمير المحجبا

قوله: «**فوالله؛ لا أجهدك بشيء أخذته لله**»: الجهد: المشقة، والمعنى: لا أشق عليك بمنع ولا مِنَّة، واعترافه بلسانه مطابق لما في قلبه، فيكون دالاً على الشكر بالقلب بالتَّضمّن.

قوله: «**خذ ما شئت ودع ما شئت**»: هٰذا من باب الشكر بالجوارح؛ فيكون هٰذا الأعمى قد أتم أركان الشكر.

قوله: «**لله**»: اللام للاختصاص، والمعنى: لأجل الله، وهٰذا ظاهر في إخلاصه لله؛ فكل ما تأخذه لله فأنا لا أمنعك منه ولا أردك.

قوله: «**إنما ابتليتم**»: أي: اختبرتم، والذي ابتلاهم هو الله تعالى، وظاهر الحديث أن قصتهم مشهورة معلومة بين الناس؛ لأن قوله: «**إنما ابتليتم**» يدل على أن عنده علمًا بما جرى لصاحبيه وغالبًا أن مثل هٰذه القصة تكون مشهورة بين الناس.

فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». أَخْرَجَاهُ[(١)].

قوله: «فقد رضي الله عنك»: يعني: لأنك شكرت نعمة الله بالقلب واللسان والجوارح.

قوله: «وسخط على صاحبيك»: لأنهما كَفَرا نعمة الله ـ سبحانه ـ، وأنكرا أن يكون الله منَّ عليهما بالشفاء والمال.

وفي هٰذا الحديث من العبر شيء كثير، منها:

١ ـ أن الرسول ﷺ يَقُصّ علينا أنباء بني إسرائيل لأجل الاعتبار والاتعاظ بما جرى، وهو أحد الأدلة لمن قال: إن شَرْع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، ولا شك أن هٰذه قاعدة صحيحة.

٢ ـ بيان قدرة الله ـ عز وجل ـ بإبراء الأبرص والأقرع والأعمىٰ من هٰذه العيوب التي فيهم بمجرد مسح المَلَك لهم.

٣ ـ أن الملائكة يتشكلون حتى يكونوا على صورة البشر؛ لقوله: **«فأتى الأبرص في صورته»**، وكذٰلك الأقرع والأعمى، لٰكن هٰذا ـ والله أعلم ـ ليس إليهم وإنما يَتَشَكَّلون بأمر الله تعالى.

٤ ـ أن الملائكة أجسام وليسوا أرواحًا أو معاني أو قوى فقط.

٥ ـ حرص الرواة على نقل الحديث بلفظه.

٦ ـ أن الإنسان لا يلزمه الرضاء بقضاء الله ـ أي بالمقضي ـ؛ لأن هٰؤلاء الذين أصيبوا قالوا: أحب إلينا كذا وكذا، وهٰذا يدل على عدم الرضا.

---

(١) أخرجه: البخاري في (الأنبياء، باب حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل، ٢/ ٤٩٤)، ومسلم في (الزهد والرقاق، ٤/ رقم (٢٩٦٤).

.....

وللإِنسان عند المصائب أربع مقامات:

- جزع، وهو محرم.

- صبر، وهو واجب.

- رضا، وهو مستحب.

- شكر، وهو أحسن وأطيب.

وهنا إشكال، وهو كيف يشكر الإِنسان ربه على المصيبة وهي لا تلائمه؟

أجيب: أن الإِنسان إذا آمن بما يترتب على هٰذه المصيبة من الأجر العظيم عرف أنها تكون بذٰلك نعمة، والنعمة تشكر.

وأما قوله ﷺ: «**فمن رضي؛ فله الرضا، ومن سخط؛ فعليه السُّخْطُ**»[1]؛ فالمراد بالرضا هنا الصبر، أو الرضا بأصل القضاء الذي هو فعل الله؛ فهٰذا يجب الرضا به لأن الله - عز وجل - حكيم، ففرق بين فعل الله والمقضي. والمقضي ينقسم إلى: مصائب لا يلزم الرضا بها، وإلى أحكام شرعية يجب الرضا بها.

٧ - جواز الدعاء المُعَلَّق؛ لقوله: «**إن كنت كاذبًا؛ فصيرك الله إلى ما كنت**»، وفي القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النور: ٧]، ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩]، وفي دعاء الاستخارة: «**اللهم! إن كنت تعلم. . . إلخ**».

(١) سبق (ص١٢١).

.....

٨ ـ جواز التنزل مع الخصم فيما لا يقر به الخصم المتنزل لأجل إفحام الخصم؛ لأن الملك يعلم أنه كاذب، ولكن بناء على قوله: إن هٰذا ما حصل، وإن المال ورثه كابرًا عن كابر، وقد سبق بيان وروده في القرآن، ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، ومعلوم أن الرسول ﷺ وأصحابه على هدى وأولئك على ضلال، ولٰكن هٰذا من باب التنزل معهم من باب العدل.

٩ ـ أن بركة الله لا نهاية لها، ولٰهذا كان لهٰذا واد من الإبل، ولهٰذا واد من البقر، ولهٰذا واد من الغنم.

١٠ ـ هل يستفاد منه أن دعاء الملائكة مستجاب أو أن هٰذه قضية عين؟ الظاهر أنه قضية عين، وإلا؛ لكان الرجل إذا دعا لأخيه بظهر الغيب، وقال الملك: آمين ولك بمثله، علمنا أن الدعاء قد استجيب.

١١ ـ بيان أن شكر كل نعمة بحسبها؛ فشكر نعمة المال أن يبذل في سبيل الله، وشكر نعمة العلم أن يبذل لمن سأله بلسان الحال أو المقال، والشكر الأعم أن يقوم بطاعة المنعم في كل شيء. ونظير هٰذا ما مر أن التوبة من كل ذنب بحسبه، لٰكن لا يستحق الإنسان وصف التوبة المطلق إلا إذا تاب من جميع الذنوب.

١٢ ـ جواز التمثيل، وهو أن يتمثل الإنسان بحال ليس هو عليها في الحقيقة، مثل أن يأتي بصورة مسكين وهو غني وما أشبه ذٰلك إذا كان فيه مصلحة وأراد أن يختبر إنسانًا بمثل هٰذا؛ فله ذٰلك.

١٣ ـ أن الابتلاء قد يكون عامًّا وظاهرًا يؤخذ من قوله: «**فإنما ابتليتم**»، وقصتهم مشهورة كما سبق.

.....

١٤ ـ فضيلة الورع والزهد، وأنه قد يجر صاحبه إلى ما تحمد عقباه؛ لأن الأعمى كان زاهدًا في الدنيا؛ فكان شاكرًا لنعمة الله.

١٥ ـ ثبوت الإرث في الأمم السابقة؛ لقوله: «**ورثته كابرًا عن كابر**».

١٦ ـ أن من صفات الله ـ عز وجل ـ الرضا والسخط والإرادة، وأهل السنة والجماعة يثبتونها على المعنى اللائق بالله على أنها حقيقة.

وإرادة الله نوعان: كونية، وشرعية. والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوبًا لله، فإذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون. وأما الشرعية: فإنه لا يلزم فيها وقوع المراد ويلزم أن يكون محبوبًا لله، ولهٰذا نقول: الإرادة الشرعية بمعنى المحبة والكونية بمعنى المشيئة، فإن قيل: هل الله يريد الخير والشر كونًا أو شرعًا؟

أجيب: إن الخير إذا وقع؛ فهو مراد لله كونًا وشرعًا، وإذا لم يقع؛ فهو مراد لله شرعًا فقط، وأما الشر فإذا وقع؛ فهو مراد لله كونًا لا شرعًا وإذا لم يقع؛ فهو غير مراد كونًا ولا شرعًا، واعلم أن الشر لا ينسب إلى فعل الله ـ سبحانه ـ؛ ولكن إلى مخلوقات الله؛ فكلّ فِعْل الله تعالى خير؛ لأنه صادر عن حكمة ورحمة، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «**الخير بيديك والشر ليس إليك**»[1]، وأما مخلوقات الله؛ ففيها خير وشر.

وإثبات صفة الرضا لله ـ سبحانه ـ لا يقتضي انتفاء صفة الحكمة، بخلاف رضا المخلوق، فقد تنتفي معه الحكمة، فإن الإنسان إذا رضي عن شخص مثلاً فإن عاطفته قد تحمله على أن يرضى عنه في كل شيء ولا يضبط نفسه في معاملته لشدة رضاه عنه، قال الشاعر:

(١) رواه: مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

.....

وعَيْنُ الرِّضا عن كلِّ عَيبٍ كَليلةٌ كما أنَّ عَيْنَ السُّخطِ تُبدِي المَسَاوِيا

لٰكن رضا الله مقرون بالحكمة، كما أن غضب الخالق ليس كغضب المخلوق؛ فلا تنتفي الحكمة مع غضب الخالق، بخلاف غضب المخلوق؛ فقد يخرجه عن الحكمة فيتصرف بما لا يليق لشدة غضبه.

ومن فَسَّر الرضا بالثواب أو إرادته؛ فتفسيره مردود عليه، فإنه إذا قيل: إن معنى «**رضي**»؛ أي: أراد أن يثيب، فمقتضاه أنه لا يرضى، ولو قالوا: لا يرضى لكفروا؛ لأنهم نفوها نفي جحود، لٰكن أَوّلُوها تأويلاً يستلزم جواز نفي الرضا؛ لأن المجاز معناه نفي الحقيقة، وهٰذا أمر خطير جدًّا. ولهٰذا بَيَّن شيخ الإِسلام ابن تيمية وابن القيم: أنه لا مجاز في القرآن ولا في اللغة، خلافًا لمن قال: كل شيء في اللغة مجاز.

١٧ ـ أن الصحبة تطلق على المشاكلة في شيء من الأشياء ولا يلزم منها المقارنة؛ لقوله: «**وسخط على صاحبيك**»؛ فالصاحب هنا: من يشبه حاله في أن الله أنعم عليه بعد البؤس.

١٨ ـ اختبار الله ـ عز وجل ـ بما أنعم عليهم به.

١٩ ـ أن التذكير قد يكون بالأقوال أو الأفعال أو الهيئات.

٢٠ ـ أنه يجوز للإِنسان أن ينسب لنفسه شيئًا لم يكن من أجل الاختبار؛ لقول الملك: إنه فقير وابن سبيل.

٢١ ـ أن هٰذه القصة كانت معروفة مشهورة؛ لقوله: «**فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك**».

* * *

● **فيه مَسائِلُ:**

الأولى: تَفْسِيرُ الآيةِ.

الثانية: مَا مَعْنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾.

الثالثة: مَا مَعْنَى قَولِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

الرابعة: مَا فِي هٰذِهِ القِصَّةِ العَجِيبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيمَةِ.

فيه مسائل:

● **الأولى: تفسير الآية:** وهي قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾، وقد سبق أن الضمير في قوله: ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾ يعود على الإنسان باعتبار الجنس.

● **الثانية: ما معنى:** ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾: اللام للاستحقاق، والمعنى: إني حقيق به وجدير به.

● **الثالثة: ما معنى قوله:** ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: وقد سبق بيان ذٰلك.

● **الرابعة: ما في هٰذه القصة العجيبة من العبر العظيمة:** وقد سبق ذكر عبر كثيرة منها، وهٰذا ليس استيعابًا، ومن ذٰلك الفرق بين الأبرص والأقرع والأعمى؛ فإن الأبرص والأقرع جَحَدَا نعمة الله ـ عز وجل ـ، والأعمى اعترف بنعمة الله، عندما طلب الملك من الأعمى المساعدة؛ قال: «خذ ما شئت»؛ فَدَلَّ هٰذا على جُوده وإخلاصه؛ لأنه قال: «فوالله؛ لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله ـ عز وجل ـ»، بخلاف الأبرص والأقرع حيث كانوا أشحاء بخلاء منكرين نعمة الله ـ عز وجل ـ.

* * *

بَابٌ
قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[1] الآية.

قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾: الضمير يعود على ما سبق من النفس وزوجها، ولهٰذا ينبغي أن يكون الشرح من قوله تعالى: ﴿هو ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ . . .﴾ [النساء: ١].

قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ فيها قولان:

الأول: أن المراد بالنفس الواحدة: العين الواحدة؛ أي: من شخص مُعيَّن، وهو آدم عليه السلام، وقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي: حواء؛ لأن حواء خُلقت من ضلع آدم.

الثاني: أن المراد بالنفس الجنس، وجعل من هٰذا الجنس زوجه، ولم يجعل زوجه من جنس آخر، والنفس قد يراد بها الجنس؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؛ أي: من جنسهم.

قوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: سكون الرجل إلى زوجته ظاهر من أمرين:

أولاً: لأن بينهما من المودة والرحمة ما يقتضي الأنس والاطمئنان والاستقرار.

ثانيًا: سكون من حيث الشهوة، وهٰذا سكون خاص لا يوجد له نظير حتى بين الأم وابنها.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٠.

.....

قوله: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: تعليل لكونها من جنسه أو من النفس المُعيَّنة.

قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: أي: جامعها، وعبارة القرآن والسنة التكنية عن الجماع، قال تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، وقال: ﴿ٱلَّتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]، كأن الاستحياء من ذكره بصريح اسمه أمر فطري، ولأن الطباع السليمة تكره أن تذكر هٰذا الشيء باسمه إلا إذا دعت الحاجة إلى ذٰلك، فإنه قد يصرح به؛ كما في قوله ﷺ لماعز وقد أَقرَّ عنده بالزنى: «**أَنِكْتَها لا يُكنِّي**»[1]؛ لأن الحاجة هنا داعية للتصريح حتى يَتَبَيَّن الأمر جليًّا، ولأن الحدود تدرأ بالشبهات.

وتشبيه علو الرجل المرأة بالغشيان أمر ظاهر، كما أن الليل يستر الأرض بظلامه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]، وعبر بقوله: ﴿تَغَشَّىٰهَا﴾ ولم يقل: غشيها؛ لأن تَغَشَّى أبلغ، وفيه شيء من المعالجة، ولهٰذا جاء في الحديث: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها**»[2]، الجلوس بين شعبها الأربع هٰذا غشيان، و«**جهدها**» هٰذا تَغَشّي.

قوله: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: الحمل في أوله خفيف: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة.

قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: المرور بالشيء تجاوزه من غير تعب ولا إعياء، والمعنى: تجاوزت هٰذا الحمل الخفيف من غير تعب ولا إعياء.

---

(١) أخرجه: البخاري في (الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست، ٤/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه: البخاري في (الغسل، باب إذا التقى الختانان، ١/ ١١١)، ومسلم في (الحيض، باب نسخ الماء من الماء، ١/ ٢٧١).

.....

قوله: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: الإثقال في آخر الحمل.

قوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ﴾، ولم يقل: دعيا؛ لأن الفعل واوي؛ فعاد إلى أصله.

قوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾: أتى بالألوهية والربوبية؛ لأن الدعاء يتعلق به جانبان:

الأول: جانب الألوهية من جهة العبد أنه داع، والدعاء عبادة.

الثاني: جانب الربوبية؛ لأن في الدعاء تحصيلاً للمطلوب، وهٰذا يكون مُتعلِّقًا بالله من حيث الربوبية. والظاهر أنهما قالا: اللهم ربنا، ويحتمل أن يكون بصيغة أخرى.

قوله: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾: أي: أعطيتنا.

وقوله: ﴿صَٰلِحًا﴾؛ هل المراد صلاح البدن أو المراد صلاح الدين، أي: لئن آتيتنا بشرًا سويًّا ليس فيه عاهة ولا نقص، أو صالحًا بالدين؛ فيكون تقيًّا قائمًا بالواجبات؟

الجواب: يشمل الأمرين جميعًا، وكثير من المفسرين لم يذكر إلا الأمر الأول، وهو الصلاح البدني، لٰكن لا مانع من أن يكون شاملاً للأمرين جميعًا.

قوله: ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: أي: من القائمين بشكرك على هٰذا الولد الصالح. والجملة هنا جواب قسم وشرط، قسم متقدم وشرط متأخر، والجواب فيه للقسم ولهٰذا جاء مقرونًا باللام: لنكونن.

قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾: هنا حصل المطلوب، لٰكن لم يحصل الشكر الذي وَعَدا الله به، بل جعلا له شركاء فيما آتاهما.

.....

وقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾: هذا جواب «لما». والجواب متعقب للشرط وهٰذا يدل على أن الشرك منهما حصل حين إتيانه وهو صغير، ومثل هٰذا لا يعرف أيصلح في دينه في المستقبل أم لا يصلح؟ ولهٰذا كان أكثر المفسرين على أن المراد بالصلاح، الصلاح البدني. فمعاهدة الإنسان ربه أن يفعل العبادة مقابل تفضل الله عليه بالنعمة الغالب أنه لا يفي بها؛ ففي سورة التوبة قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٦]، وفي هٰذه الآية قال تعالى: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾؛ فكانا من المشركين لا من الشاكرين، وبهٰذا نعرف الحكمة من نهي النبي ﷺ عن النذر؛ لأن النذر معاهدة مع الله ـ عز وجل ـ؛ ولهٰذا نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «**إنه لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل**»[1]، وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى تحريم النذر، وظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يميل إلى تحريم النذر[2]؛ لأن رسول الله ﷺ نهى عنه ونفى أنه يأتي بخير.

إذًا ما الذي نستفيد من أمرٍ نهى عنه الرسول ﷺ وقال إنه لا يأتي بخير؟

الجواب؛ لا نستفيد إلا المشقة على أنفسنا وإلزام أنفسنا بما نحن

(١) أخرجه: مسلم في (النذر، باب النهي عن النذر، ٣/ ١٢٦١).
وأخرج: البخاري نحوه في (الإيمان، باب الوفاء بالنذر، ٤/ ٢٢٧)، ومسلم في (النذر، باب النهي عن النذر، ٣/ ١٢٦١)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الاختيارات» (ص٣٢٨).

.....

منه في عافية، ولهٰذا؛ فالقول بتحريم النذر قول قوي جدًّا، ولا يعرف مقدار وزن هٰذا القول إلا من عرف أسئلة الناس وكثرتها ورأى أنهم يذهبون إلى كل عالم لعلهم يجدون خلاصًا مما نذروا.

فإن قيل: هٰذا الولد الذي آتاهما الله ـ عز وجل ـ كان واحدًا؛ فكيف جعلا في هٰذا الولد الواحد شِرْكًا بل شركاء؟

فالجواب: أن نقول هٰذا على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يعتقِدا أن الذي أتى بهٰذا الولد هو الولي الفلاني والصالح الفلاني ونحو ذلك؛ فهٰذا شرك أكبر لأنهما أضافا الخلق إلى غير الله.

ومن هٰذا أيضًا ما يوجد عند بعض الأمم الإسلامية الآن؛ فتجد المرأة التي لا يأتيها الولد تأتي إلى قبر الولي الفلاني، كما يزعمون أنه ولي الله ـ والله أعلم بولايته ـ، فتقول: يا سيدي فلان! ارزقني ولدًا.

الوجه الثاني: أن يضيف سلامة المولود ووقايته إلى الأطباء وإرشاداتهم وإلى القوابل وما أشبه ذٰلك، فيقولون مثلًا: سَلِمَ هٰذا الولد من الطلق؛ لأن القابلة امرأة متقنة جيدة؛ فهنا أضاف النعمة إلى غير الله، وهٰذا نوع من الشرك ولا يصل إلى حد الشرك الأكبر؛ لأنه أضاف النعمة إلى السبب ونسي المسبب وهو الله ـ عز وجل ـ.

الوجه الثالث: أن لا يشرك من ناحية الربوبية، بل يؤمن أن هٰذا الولد خرج سالمًا بفضل الله ورحمته، ولٰكن يشرك من ناحية العبودية؛ فيقدم محبته على محبة الله ورسوله ويلهيه عن طاعة الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]؛

.....

فكيف تجعل هٰذا الولد ندًّا لله في المحبة وربما قدمت محبته على محبة الله، والله هو المتفضل عليك به؟!

وفي **قوله:** ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾؛ نقد لاذع أن يجعلا في هٰذا الولد شريكًا مع الله، مع أن الله هو المتفضل به، ثم قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: ترفّع وتقدّس عما يشركون به من هٰذه الأصنام وغيرها.

ومن تأمل الآية وجدها دالة على أن قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ أي: من جنس واحد، وليس فيها تَعَرُّض لآدم وحواء بوجه من الوجوه، ويكون السياق فيها جاريًا على الأسلوب العربي الفصيح الذي له نظير في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]؛ أي: من جنسهم، وبهٰذا التفسير الواضح البيّن يسلم الإنسان من إشكالات كثيرة.

أما على القول الثاني بأن المراد بقوله تعالى: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]: حواء؛ فيكون معنى الآية خلقكم من آدم وحواء. فلما جامع آدم حواء حملت حملاً خفيفًا، فمرَّت به، فلما أثقلت دعوا ـ أي آدم وحواء ـ الله ربهما: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، فأشرك آدم وحواء بالله، لٰكن قالوا: إنه إشراك طاعة لا إشراك عبادة، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وهٰذا التفسير منطبق على المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسنبين ـ إن شاء الله تعالى ـ وجه ضعفه وبطلانه.

وهناك قول ثالث: أن المراد بقوله تعالى: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ أي: آدم وحواء، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ انتقل من العين إلى النوع؛ أي: من آدم إلى النوع الذي هم بنوه، أي: فلما تَغَشَّى الإنسان الذي تسلسل من آدم وحواء

قَالَ ابنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسمٍ مُعبَّدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَما أَشْبَهَ ذٰلِكَ، .....

زوجته . . . إلى آخره، ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالجمع ولم يقل عما يشركان، ونظير ذٰلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]؛ أي: جعلنا الشهب الخارجة منها رجومًا للشياطين وليست المصابيح نفسها، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٣]؛ أي: جعلناه بالنوع، وعلى هذا فأول الآية في آدم وحواء، ثم صار الكلام من العين إلى النوع. وهٰذا التفسير له وجه، وفيه تنزيه آدم وحواء من الشرك، لٰكن فيه شيء من الركاكة لتشتت الضمائر.

وأما **قوله تعالى**: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ فجمع لأن المراد بالمثنى اثنان من هٰذا الجنس، فصح أن يعود الضمير إليهما مجموعًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩] ولم يقل: اقتتلتا؛ لأن الطائفتين جماعة.

* * *

قوله: «اتفقوا»: أي: أجمعوا، والإجماع أحد الأدلة الشرعية التي تثبت بها الأحكام، والأدلة هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس.

قوله: «وما أشبه ذٰلك»: مثل: عبد الحسين، وعبد الرسول، وعبد المسيح، وعبد علي.

وأما **قوله** ﷺ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم. . .»**[1]

---

(١) أخرجه: البخاري في (الجهاد، باب الحراسة في الغزو، ٢/ ٣٢٧)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.